

تصدير

العناية بالسياسة ومحاولة تعرف مذاهبها ، واستطلاع أسرارها ،
هى طابع هذا العصر الخافل بالأحداث العظام والخطوب الفواح ،
والذى تعاني فيه الإنسانية أزمة من أعنف الأزمات ، وتبذل
جهوداً مضنية ، وتقاسى ألماً مريراً ، وقد تسلطت السياسة على
العقول ، وتغلغلت إلى كل منحنى من مناحى الحياة ، فالضرائب
التي تفرض علينا ، والعدالة التي ننشدها ونحتفى بها واستتباب
الأمن أو اضطراب حبله في أيام السلم ، وإثارة الحروب وما ينشأ
عنها من تدمير وتخریب ، ومدى ما يسمح لنا به من حرية في
العمل أو في القول ، وسائر مقومات حياتنا ، وأسس وجودنا ،
أصبحت كلها تتأثر بالسياسة وتتأون بلونها .

والتفكير السياسى الحديث فى حالة تمييع وتخليط إلى حد كبير ،
فالمسائل التي يتناولها مشار خلافاً شديداً ، ونقاش عنيف ، وهذا

الخلاف يمتد إلى مشكلاتها الأساسية ، ويتسلل إلى طرائق وصفها ، وأساليب عرضها ، ولعل مصدر الصعوبة الأصلية هو أن أقطاب الساسة ، وزعماء الأحزاب ، وأصحاب النحل السياسية ، يميلون إلى تبسيط المذاهب السياسية ، لتكتسب مناعة ، وتزداد تمكيناً ، وهم يعلمون بخبرتهم المستفيضة ، ودرائتهم الواسعة ، ويدركون بغريزتهم السياسية العملية أن نجاح أى حركة من الحركات رهن بتبسيط فكرتها ، والمبالغة فى تأكيدها ، والتهويل فى إعلانها ، ولا ريب فى أن هذه المبالغة تغض من قيمة المذهب ، وتشوه من جماله ، وتستنزله من مستواه الرفيع ، ولكن المذهب — من ناحية أخرى — لا تستشرى قوته ، وتهب ريحه إلا بهذه الطريقة ، فالتبسيط والمبالغة والتكرار تقربه إلى العقول وتمزجه بالنفوس وتعين على خلق العقلية المتعصبة التى تدين به ، وتؤمن إيماناً لا يعرف الشك ولا يقف عند حد ، وذلك فى حين أن المفكرين السياسيين يميلون إلى تشقيق المذاهب ، وتفريع الأصول ، ويعنون فى بيان جوانبها المختلفة ، وألوانها العديدة ، وفروقها الدقيقة ، حتى تغشى الناس الحيرة وتتبلبل أفكارهم ، ويستتبع ذلك انشلام إرادتهم ، وتحلل عزيمتهم ، وعجزهم عن

رياضة المشكلات ومواجهة الأزمات .

وليس من الميسور بطبيعة الحال استيعاب مرامي المذاهب السياسية جملة ، ولا استقصاء وجوهها جميعها في مثل هذه الرسالة المحدودة النطاق ، ولكنني تحررت إبراز أكثر نزعاتها الغالبة ، وتياراتها الرئيسية ، وقد عملت جهد الطاقة على أن أتناولها بطريقة لا تقتضى معرفة سابقة للموضوع ، تحقيقاً للغرض المقصود من هذه السلسلة وتعميماً للفائدة .

ومهما اختلفت الآراء في وصف سمات العصر الحاضر ، وتوضيح خصائصه ، فلا امتراء في أنه عصر قد اشتد فيه قلق الروح ، ومادت بها المخاوف ، وساورتها الشكوك ، وقد حدث التجارب القاسية والعبر الأليمة الإنسانية على أن تنكر ما كانت تعرف ، وتعجب مما كانت تألف ، وتعيد النظر فيما كانت تسلكه ببدائه العقول ، وتلحقه بالمسلمات ، وقد شملت هذه المراجعة الناقدة الكثير من موروثة الماضي المقدسة ، وأسس السياسة ، ونظم الدولة ، وأساليب الإدارة .

ولأجل أن يقوم كل إنسان بقسط عملي في توطيد الحضارة ، وتأيد القيم السامية فإن عليه أن يواجه القوى التي تعمل حوله ،

ويحاول أن يستشف عناصرها ، ويستوضح فواعلها ، ويميز فيها الحق من الباطل ويروض نفسه على أن يعمل وفق المبادئ التي يقتنع بصحتها . وتصفح المذاهب السياسية والإلمام بنظرياتها وتجاربها وآثارها يهين على الأخذ بالمبادئ السليمة ، وتكوين الآراء الصحيحة . والعالم في أمسّ حاجة إلى الاستمسك بالعقائد الصادقة وتطبيقها في السياسة . ويجمل بالإنسان أن يقدر كرامة إنسانيته فلا يتركها في مهب زياح الحوادث ، ولا يلقي عنانها إلى أيدي المقادير ، وأن يدأب ليصوغ مستقبله حسب مشيئته وليكون مصيره في يده ويقول مع المتنبي

أعطى الزمان فما قبلت عطاءه وأراد لي فأردت أن أتخير
والأزمة العالمية الراهنة أزمة شديدة التعقيد ، متداخلة المشكلات ، وليس من السهل أن نستخلص الأسباب الحقيقية التي أدت إلى حدوثها ، وأن نعرف وجه الصواب ومقطع الحق في نفعها المثار ولهيبتها المشبوب ، فهل هي في صميمها صراع بين الحرية والطغيان ومحاولة استغلال الأمم الكبيرة القوية للأمم المستضعفة الصغيرة ؟ أو هي صراع بين المبادئ الاشتراكية والنزعات الرأسمالية ؟ أو هي نزاع بين عوامل الفوضى الدولية من

ناحية ومحاولة تنظيم حكومة عالمية من ناحية أخرى ؟ وسأحاول في هذه الرسالة أن ألقى شيئاً من الضوء في هذه الظلمات المتراكبة وكاتب هذه الرسالة ديمقراطي الرأى والمقيدة ، فهو ينظر إلى المذاهب السياسية المختلفة من وجهة النظر الديمقراطية ، ومن عيوب الديمقراطية الحققة أو من محاسنها أنها ليست مسرفة في التعصب ولا نزاعة إلى التجنى مثل الكثير من المذاهب السياسية التي تناوئها ، والديمقراطي بطبيعة مذهبه أقوم بفروض الحرية وأقدر على إنصاف المذاهب الأخرى ، وأجل مزايا الثقافة أنها توسع دائرة العطف وتمكننا من أن ندرك وجهة نظر من يخالفوننا على وجهها الصحيح . وقد حاولت أن أسمو إلى هذا المستوى الثقافى وأترك للقارىء الحكم على مدى توفيقى في هذه المحاولة ؟